مرة أخرى: حول مؤتمر مزارعي التبغ في عينتا الزرط

من الطبيعي ان نخطيء .. لكن من الضروري ان نعترف ونسعى حثيثا الى تصحيحها حتى لا نغرق فيها وننتهي الى الفشل ، ذلك ان مسيرتنا معقدة وشاقه ، ويلزمها كلما تحولت عن خطها الاساسي ، اكثر فعالية وجهدا وتضحيات لتشكل الخلفيه الصلبة التي ندفع بها وبشكل مستمر لان تسلك المجرى السليم حتى تصب نتائجها الايجابيه والعاملة في مجرى الثورة الوطنية الديمقراطية ، سمة هذه المرحلة .

ان المكابرة على الاعتراف باخطائنا ، كفيلة بان تشوه معالم ثورتنا واهدافها السامية ، ان تكريس الاخطاء ولجم اي محاولة لتصحيحها والقضاء عليها تجعلنا ننحدر الى مصاف القوى المضادة التي ترحب بهذا العمل والذي هو اصلا من مهماتها الرئيسية ..

والزميله « الراية » في عددها ٣٤٧ (١٩) – ص ٢ – تحاول تبرير ونطية الركود الموضوعي والذاتي لمؤتمر مزارعي التبغ في « عينا الزط » والذي عقد في ١٩٧١/٥/٢ ، ورغم الفشل الذريع الذي منى به هذا المؤتمر ، تأتي « الراية » الا المعاندة ضد الحقيقة الصارخة : فشل المؤتمر الكلي اعدادا وممارسات ونتائج – على لسان عضو في اللجان الفلاحية معلقا على موقع مؤتمر « عينا الزط » في معركة مزارعي التبغ .

وفي هذه المناقشة – بعد تأكيدي الكامل على كافة النقاط التي جاءت في الدراسة السابقة ، في مجلة « الهدف » (العدد ١٠١) بعنوان « ضوء أولي على مؤتمر مزارعي التبغ في قرية عينا الزط » تناول في هذه المناقشة – بالتحليل والنقد – كلمة عضو اللجان الفلاحية ، وانابع الحوار الذي اوحى منه أغناء للمسيرة الثورية بشكل عام – ومحاولة لتصحيح مسار اللجان الفلاحية ، وتنمية نظرة اللجنة التحضيرية للمؤتمر بشكل خاص ، كما اهدف الى وضع الصورة الصحيحة والكاملة امام الجماهير الكادحة وخصوصا مزارعي التبغ – اصحاب المصلحة المباشرة في المؤتمر – وصاحبة الحكم على كل عمل نضالي يخدم مصالحها او يضر بهذه المصالح .

■ النقطة الاولى : اسباب عدم نجاح مؤتمر مزارعي التبغ

يقول مقال « الراية » : « لم يرافق التحضير للمؤتمر عمل جماهيري واسع ، بل ظل الامر محصورا في نطاق ضيق من المزارعين اقتصر على اعضاء اللجان الفلاحية ، هذه اللجان التي لم يكن قد مضى على تشكلها سوى شهر وبضعة ايام – اي انها ما زالت طرية العود ، مجهولة من اكثر الاوساط الشعبية وحتى بين الفلاحين انفسهم » . هذا هو السبب الاول ، وهو يؤكد عدة اسباب :

١ – ان اللجنة التحضيرية الملتزمة هي صاحبة المبادرة في الاعداد والتحضير والتهيئة للمؤتمر ، اذا هي سبب عزلته عن العمل الجماهيري وحصره في نطاق ضيق من المزارعين ، وهي التي رسمت صورة المؤتمر المشوهه واعدت لها بقواها المشلولة حتى اتى بهذه النتائج التكتلية .. ان تبعية فشل المؤتمر تلقى على عاتق اللجنة الملتزمة « والواهية » التي كان المؤتمر من اعدادها وتنفيذها .

ب – من كان سبب اعطاء اللجان الفلاحية الطرية العود مهمة الاعداد للمؤتمر ، وهي لم تزل طفلا لا تتجاوز عمره الشهر وبضعة ايام ؟ اليست هي اللجنة التحضيرية الملتزمة صاحبة هذا القانون التاريخي والتي (فاقت الماركسية – اللينينية في تحليلها للواقع وعملية تغييره) .

ج – من كانت تمثل هذه اللجان الطفله والمقطوعة الصلة عن المزارعين ، والتي لم تعبيء للمشاركه في هذا المؤتمر سوى اطفالها الارباء ؟

ان هذه اللجان الفلاحية « المجهولة » من اكثر الاوساط الشعبيه والفلاحيه تدلل على انها رموز متحركه عاجزة حتى عن فهم دورها .. فكيف بها وهي تمارس لتجسيد هذا الدور بهذه السرعة التي عقد فيها المؤتمر المسخ ؟..

يقول في السبب الثاني « ان المؤتمر جاء انعطافا في محاولة لستر هزيمة الاحزاب والفئات التقدمية التي تلتقط انفاسها بعد تراجع العمل الفدائي وفشل برنامجها السياسي في هذا المجال » .

أ – ان مهمة المؤتمر المسخ جاءت في محاولة لستر هزيمة الاحزاب والفئات التقدمية .. انني اسأل هنا من هم الذين اعدوا للمؤتمر في « عينا الزط » .. أليس حزب البعث والحزب الشيوعي واللجنة التحضيرية الملتزمة الاحزاب والفئات التقدمية هل عقدت المؤتمر لتستر هزيمتها السابقة ام هزيمتها التي منيت بها في مؤتمر « عينا الزط » ؟.

في هذه النقطة بالذات كنت اتمنى من عضو اللجان الفلاحية ان يذكر وبالارقام السياسات الخاطئة والملوية التي ناجرت ولا زالت تتاجر بقضايا الجماهير الكادحه ، ومنهم مزارعي التبغ.

وقد جاءت هذه النقطه بهذا الشكل غير المحدد اما محاولة طمس معالم هذه الحالة الانتهازية ، واما جاءت لتبرر وتغالي لا لتقرر افراز سلبيات مؤتمر عينا الزط وطرحها امام الجماهير – الجماهير الكفيله بحمها الثوري ان تحاكم اصحاب السياسات الفاشلة والتي تعرضها للتراخي وتعرض مصالحها ووحدتها للبعثرة والموبة .

ب – وهل تراجع العمل الفدائي هو سبب هزيمة الاحزاب وفشل برامجها السياسية ؟ ام ان عدم الرؤية الواضحة والجهل التام في معرفة وفهم العلاقة القائمة بين الاحزاب الوطنية والقوى والفئات التقدمية من جهة والثورة الفلسطينية والقضايا الاقتصادية والمعيشية للجماهير من جهة ثانية – اذ ان بعض الاحزاب كانت تعتبر نفسها رديفا للمنظمة الفدائية التي تتعاون معها او حتى تندمج فيها .

ان اهم اسباب فشل الاحزاب تكون دائما :

١ – غياب النظرية والتحليل العلمي للواقع الاقتصادي والمادي وقواه الوطنية المعبرة عنه .

٢ – غياب التنظيم الحديدي والذي نفهمه شكل الوسط بين النظرية والممارسة (الحزب الثوري الماركسي – اللينيني) .

٣ – الممارسات الخاطئة والمعوقة المرتجلة ، كذلك غياب القيادة الواعيه والتي تترجم البرنامج ووجه التنظيم وتغني الممارسه من خلال دفعها الى الحركة الدائمة والنقد المستمر .

الى جانب تحديد الحالفات على اساس جبهوية تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المرحلة الحاضرة .

هذه هي العوامل التي تكون سببا لهزيمة الاحزاب وفشل برامجها السياسية .

ان هزيمة الاحزاب وفشل برامجها السياسية يعني سقوطها تاريخيا ، فهل سقط كل من حزب البعث والحزب الشيوعي ؟ وهل يعقل ان يكون مؤتمر مشوه مشلول سترا لهزيمة تاريخية ، وبدلا ايجابيا عن كل الممارسات السابقة ؟

والسبب الثالث يقول « الجهود التي بذلها الاقطاع الزراعي والسياسي واصحاب الرخص الكبيرة لافشال المؤتمر » .

أ – ان تأكيد هذه النقطه هو تأكيد على غياب الرؤية الواضحة لمعالم الطريق النضالي، ولطبيعة القوى المصارعة على جانبيه ، وتؤكد عجز اللجنة عن تحديد مدى شراسة الهجمة المنظمه للقوى المضاده في ظل بيعثر قواها المشلوله والتي تضرب اي تحرك جماهيري يهدف الى القضاء او النيل من عمله الاستغلال او المساس ولو بشكل بسيط بالاوضاع القائمه ، والذين يعملون المستحيل لا للمحافظه على عمله الاستغلال ، بل الى تطويرها لتضخم اموالهم وتعزز سيطرتهم هذه الهجمه المنظمه من القوى المضاده قابلها اعداد بيروقراطي للمؤتمر وقوى مشلوله لا تزال طريه العود ومبعثره عاجزه عن دفع حشبات المؤتمر الى النجاح .

والسبب الرابع يقول : « ان موقف الاقطاع – الاجهزة – ازلام الشركه – لم يكن مفاجئا – لولا ما ترافق مع ظروف سلبيه ساعدت في عدم اقبال المزارعين على حضور المؤتمر وهي الظروف التي تتعلق باختيار الزمان والمكان » .

٢ – ان موقف (الاقطاع – ازلام الشركه) لم يكن مفاجئا .

انني اسأل ما هي القوى التي جندت لمواجهة مثل هذا الاحتمال الهجومي المنتظر ؟ ان اللجنة التحضيرية الملتزمة ، كانت تضع في حسابها تكالب القوى المضاده ، ولكنها تصرفت وكأن المؤتمر لا تعترضه عقبات ، مغالطة تكرر لترفع اصابع الاتهام وتشير الى هذه اللجنة لتدينها ، وتضعها تحت الضبابية في الرؤية والسطحية في التحليل والاستنتاج ، التي كللت سياستها من خلال المؤتمر وتوجته بالفشل .

ب – لقد كان مقررا ان يعقد المؤتمر في ١٩٧١/٤/١٨ .. ولكنه لاسباب « وجيهة » ارجيء الى ١٩٧١/٥/٢ ، حيث عقد بهذه المهزلة وعمر اللجان الفلاحية حوالي شهر ، انني اسأل لو عقد المؤتمر في الموعد الاول كم كان سيكون عمر اللجان الفلاحية ؟ بعد بالايام طبعا ؟

هذه اللجان التي يجب ان تكون هي العناصر الديمقراطية الواعية ، والممثله لمزارعي التبغ ، واللجنة التحضيرية الملتزمة لم تستوعب خصائص اوضاعهم وطبيعة حياتهم المادية من خلال فهمها للواقع الطبقي ، حيث تنظم مزارعي التبغ على برنامج مطلبي واضح يطرح كافة متطلبات زراعة التبغ ، والنضال من خلاله لتحقيق المكتسبات بشكل تصاعدي (وتحويلها) لمصلحة النضال الحقيقي لاسقاط هذا النظام القائم وتحطيم اساسه المادي وبناء الفوقية المعبرة عنه .

ج – اما اختيار المكان في « عينا الزط » ،

فان نسبة الحضور تدلل على الشكل المرتجل الذي أختير فيه المكان ، ان التشاور ووضع الاحتمالات مع العناصر الحزبية في عينا الزط ، كان في الليلة التي سبقت نهار عقد المؤتمر ، مما اكد النظرة السطحية للجنة التحضيرية ، أيت مع العوامل المذكورة كلها الى فشل هذا المؤتمر كما حصل للمؤتمرات السابقة .

هذه هي الاسباب التي يذكرها عضو اللجنة الفلاحية والتي كانت سببا في عدم نجاح المؤتمر، يحاول من خلالها تغليب تبرئة اللجنة التحضيرية على ادائها – علما بأن بعض هذه الاسباب فيها الكثير من الحقائق .

■ النقطة الثانية : الاهداف التي حققها المؤتمر

يقول : « ان المؤتمر لم يخرج عن المطالب المعروفة والتي رفعتها المؤتمرات السابقة ، ولكن الامر الجديد الذي ميز هذا المؤتمر هو التحليل المعمق ، والوصف الشامل ، لمشكلة زراعة التبغ الذي تضمنه التقرير العام والذي يرسم الخطوط العريضة ، وكذلك الطرح المقدم الذي تناول بالنقد اساليب العمل السابقة » .

أ – ان المطالب التي رفعها المؤتمر هي مطالب ناقصة وجزئية وعائمة كما ذكرتها السياسة السابقة حيث نرفع معها فشل المؤتمر وتركت النظرة السطحية لا التعمق في معرفة وتحليل مشكله زراعة التبغ .

ب – انني اسأل اين التحليل المعمق والوصف الشامل لمشكلة زراعة التبغ ؟ فاذا استعرضنا التقرير العام نرى المغالطات واضحة تدينه ونرسم خطوطه العريضة بالارتجال ، واذا بحثنا في الاسباب التي دعت لعقد المؤتمر نراها ناقصة وانشائية تدلل على عدم وعي اللجنة التحضيرية ، واذا نظرنا الى المطالب التي رفعها المؤتمر نراها ناقصة لا تعبر عن واقع مزارعي التبغ ، وكذلك كانت متشعبة ومغرقة بالعموميات ، واذا ذكرنا نسبة الحضور ومدى التمثيل العملي لمزارعي التبغ – تواجهنا الحقيقة الصارخة ، لتعطينا الدليل الملموس على الفوضى وعدم التنظيم والابتعاد عن التمثيل الحقيقي للمزارعين ، وكذلك الحضر البيروقراطي الذي مثلته اللجنة المقررة بدرجة ١٠٠٪ .

ج – أما الكلمات المتقدمة بطرحها فقد كتبت كلمة الصحافة التي القاها الاستاذ عبد المحسن الامين هذه الكلمة « الهائلة » بجملة المغالطات التي حوتها تدلل على انشائية الوصف اولا ، وعلى بعد المحاضرين عن معايشة المزارعين وتحسس مشاكلهم ، ومعرفة مطالبهم وحقوقهم الناجمة عن اوضاعهم المعيشية والمادية القاسية ، كذلك كانت الكلمه تكرارا كلاسيكيا لاساليب العمل السابقة وحدد بالخطوط الضيقة (لا العريضة) الاساليب التي يفترض اتباعها في هذه المجالات .

ان المحاولة التي يقدمها عضو اللجنة الملتزمة تدين اشتراكه في افشال المؤتمر لانه يحاول تغطية العلنية لثغرات المؤتمر العاري ، من حيث الاساليب التي اتبعها المؤتمر .

« ان مؤتمر عينا الزط شكل بداية تحول في الاساليب الكلاسيكية للمؤتمرات السابقة عندما نظم الفلاحون في لجان فلاحية ففي هذه الحالة شكل مؤتمر عينا الزط تطورا واسلوبا متقدما في العمل » .

كيف نقول عن مؤتمر عينا الزط انه شكل بداية تحول في تنظيمه لجماهير الفلاحين في لجان فلاحية ونسبة الحضور تكاد تعد على الاصابع ، وكيف يمكن ان نقول عنه « انه بداية تحول واللجان الفلاحية عمرها شهر بدون اي ممارسة نضالية تدلل على مدى فاعليتها ، الا اذا كان المقصود باللجان الفخرية التي لا تمثل اي نسبة من العمالية المطلوبة ، ان اللجان الفلاحية يجب ان تكون ذات فعالية مكثفة ونسبة تمثيل واسعة جدا – نوعا وكما – حتى تدفع بالنضال الى مرحلته الحاسمة – علما بانني لست ضد المدة التي نلت المؤتمر ان هذه اللجان لم تجمع حتى كتابة هذه السطور – مما يدلل على فشل المؤتمر اعدادا وممارسات ونتائج .

ان مؤتمر عينا الزط هو حلقة في سلسلة الممارسات الخاطئة والسلبية التي شوهت اللجان من الفعالية السياسية والنضالية ، والتي يجب ان تخدم اولا واخيرا مصالح الطبقة العاملة والفلاحين ومنهم مزارعي التبغ .

ان الاهتمام بالقضايا المطلبية لمزارعي التبغ يفرض بالضرورة ممارسات صحيحة وفاعلة مع ان تحكم افقها رؤية علمية واضحة تحدد فعاليتها مشكلة زراعة التبغ وطبيعة اوضاع المزارعين .

ابن الجنوب – جوا

قضايا حزبية

الحزب الماركسي اللينيني ودوره في نضال الطبقة العاملة

نوهم اعداء الشيوعيه ان اساس متابعة سياساتها ، تحتاج بالضبط الى تنظيم من المهجين ، اذا كان ذلك صحيحا ، فالشيوعيون قد سحقوا لانهم اضطهدوا ثمرا ، حتى ولو كانت هذه العناصر تشكل في البداية جزءا ضئيلا من هذه الطبقة » (١) .

وطالما كانت الطبقة العاملة تخوض نضالا اقتصاديا فقط ، فان البرجوازية لا ترى في ذلك اي خطر بالغ على نفسها ، ولكن عندما تنتظم الطبقة العاملة سياسيا ، كان تؤسس حزبا سياسيا يعبر عن ارادتها كطبقة مثلا ، تبدأ البرجوازية في الخوف الشديد على حكمها . ولهذا السبب توجه البرجوازية ضرباتها الشديدة ضد حزب الطبقة العاملة السياسي ، وفي نفس الوقت ، تنشط الدعاية البرجوازية محاولة تخريب الحزب من الداخل ، عن طريق اقناع العمال بانه بمكنهم العمل بدون حزبهم ، واحد مظاهر التأثير البرجوازي على الطبقة العاملة هو الفوضوية ، والفوضوية – النقابية وانكار الدور القيادي لحزب سياسي .

ان الفوضويين كافة يعارضون ضروره وجود اي تنظيم سياسي ، ويدعو الفوضويون – النقابيون بوجوب عدم اشتغال الطبقة العاملة بالسياسة ، وان اتحادات العمال وحدها كافية، ان الفوضويين ، بانكارهم للسياسة ، يخضعون في الواقع الطبقة العاملة للسياسات البرجوازية. وكتب لينين فاضحا تفاهة هذه النظرية ، وخطر هذه الاراء ، كتب يقول :

« ان حزب الطبقة العاملة السياسي وحده ، الحزب الشيوعي مثلا ، هو القادر على توحيد وتكثيف وتنظيم طليعة البروليتاريا هذه وكل جماهير الشغيلة ، طليعة هي وحدها القادرة على مقاومة تذبذبات البرجوازية الصغيرة ، والتقاليد ، ولنكاسات النقابات الضيقة الافق، او الاجتهادات النقابية في وسط البروليتاريا وقيادة كل النشاطات المشتركة لسائر البروليتاريا، قيادة البروليتاريا سياسيا ومن خلالها قيادة جماهير الشغيلة . » (٢) .

ومع ذلك ، ليس كل حزب سياسي يدعي قيادة الطبقة العاملة قادر على انجاز هذه المهمة. وسفح ذلك من تجربة احزاب الاممية الثانية الديمقراطية – الاشتراكية ، حيث استطاعت البرجوازية الى حد معين عامله من خلال القادة الانتهازيين للديمقراطية – الاشتراكية ، ان تضع هذه الاحزاب تحت نفوذها ، « لروبضها »وجعلها لا تتميز في شيء عن المعارضة البرلمانية البرجوازية ونتيجة لذلك ، فقدت الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية ، التي علقت في البداية املا عظيما على الطبقة العامله ، فقدت قدرتها على تنظيم وقيادة حركة الطبقة العاملة الثورية . وخصوصا كان ذلك واضحا عندما تعقدت كل التناقضات الاجتماعية في عصر الامبريالية واصبحت مناقضه للغاية .

ان الحقيقة الموضوعية . واهداف البروليتاريا جعلت خلق احزاب « من نوع جديد » للطبقة العامله ، مسالة اساسية لا بد منها .

ان اول حزب من هذا النوع نشأ بنجاح كان في روسيا ، عندما كانت التناقضات الامبريالية حاده على وجه الخصوص ، ففي اواخر التسعينات من القرن الماضي رفع لينين رايه النضال ضد الانتهازية في صفوف الديمقراطية الاشتراكية . وضرب هذا النضال مثلا للحركة الثورية في العالم بدا تأسيس احزاب شيوعية في كثير من البلدان.

ولقد تركت الخصوصيات القومية وظروف النضال اثارها على كل حزب شيوعي ، بيد ان لديها شيء مشترك يميزها جذريا عن الاحزاب الديمقراطية – الاشتراكية .

ان الشيء الاساسي الذي يميز الاحزاب من النوع الجديد هو معاداتها للراسمالية ، فالشيوعيون يخوضون نضالا نشطا للقضاء عليها ، من اجل تحول المجمع الراسمالي تحويلا ثوريا ، ولان الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل الطبقة العاملة واقامة دكتاتورية البروليتاريا هما شرطان رئيسيان لهذا التحويل.

وهذا مصدر عدم التسامح الذي يقوم به الشيوعيون ازاء جميع اشكال الانتهازية التي تعني بالملموس تكيفا مع الراسمالية .

ان الاحزاب الشيوعية لا تعمل وهي عمياء او تتلمس في الظلام ، وانما تسترشد بنظرية الماركسية – اللينينية الثورية ، التي تعبر عمليا عن الاهداف الاساسية للطبقة العاملة . ان الحزب هو اتحاد طوعي من اناس متجانسين فكرا ومتحدين من اجل تطبيق النظرة الماركسية الى العالم وتنفيذ المهمة التاريخية للطبقة العاملة .

ان الصفة الثورية للحزب تحدد مبادئه التنظيمية ، ووحدته ،وهوية عمله ، ومرونة تكتيكاته . واكثر من ذلك ، ان القوة الاساسية للاحزاب الشيوعية تكمن في حقيقة انها ليست احزاب افراد منعزلين او فئات ضيقة لثوريين محترفين ، ولكنها احزاب الجماهير الواسعة من الكادحين ، تقيم معها اوثق العلاقات الممكنة. وتقود نضالها .

طليعة الطبقة العاملة وكل الكادحين

ان الحزب الشيوعي هو طليعة الطبقة العاملة هو ، مثلا ، فصيلها المتقدم الواعي طبقيا ، القادر على قيادة الجماهير في النضال للاطاحة بالراسمالية وبناء الاشتراكية . يقول لينين : « ان الماركسية ، اذ تربي حزب العمال ، تربي طليعة البروليتاريا الكفوءة لاخذ السلطة و « للسير بكل الشعب » الى الاشتراكية ولتوجيه وتنظيم النظام الجديد ولتكون معلما وقائداوزعيما لجميع الشغيلة والمستثمرين في امر تنظيم حياتهم الاجتماعية بدون البرجوازية وضد البرجوازية » (٣) .

ان حزب البروليتاريا – الحزب الشيوعي – حزب طبقي وله في نفس الوقت جذور عميقة لا بين الجماهير فحسب ، بل وايضا بين فئات اخرى من الشعب .

ان الشيوعيين ليسوا باي حال اناسا خارقين، انهم عمال ، فلاحون ، مثقفون بسطاء ، وكلمة انهم اناس عاديون . ولكن ما يميزهم هو وعيهم الطبقي العالي وثباتهم الايديولوجي ، وبالتالي طبيعتهم الثورية الاكثر صلابة ، واكثر استعدادا لمواجهة اي محن في سبيل المثل العلياالتي اتحدوا لتحقيقها ، ان حياتهم مرتبطة باهداف الشعب، ويولون اهماما عميقا بكل شيء يثور في عقول الشعب .

وتشمل الاحزاب الشيوعية الجماهيرية على ممثلين لكافه القوى الشعبيه التي تشارك في النضال ضد الراسمالية ، وفوق كل شيء افضل الاعضاء من الطبقة العاملة .

وتربنا التاريخ انه قبل ان تصبح الاحزاب الثورية طلائع حقيقية ، فانها تمر عبر عدد من مراحل التطور السياسي والتنظيمي ، ومنذ البداية ، هي عاده فصائل دعائية ، وبدور عملها بشكل اساسي داخل صفوفها . وهذا ضروري للتأكيد على الوحدة الايديولوجية ، وتثقيف الاعضاء ، وتحسين النظم . وبحصل ذلك عندما تذهب الاحزاب الى الجماهير وتبدأ في قيادة الاضرابات والاعمال الجماهيرية للطبقة العاملة ، وتسير هذه الفترة الى دمج حركة الطبقة العاملة العفوية بافكار الاشتراكية وتحولها الى حركة واعية طبقيا ومنظمة ، وفي المرحلة التالية ، تصبح الحزب قوة سياسية حقيقية ، لسبب قادره على قيادة غالبية الطبقة العاملة فحسب ، وانما كذلك عدد كبير من جماهير الشعب .

ان الاحزاب الشيوعية ،في بعض البلدان الراسمالية ، لم تستطع بعد كسب جماهير الطبقة العاملة الواسعة كما لم تصبح بعد احزابا جماهيرية ، وهي ، كطليعة لتوحيد اكثر الفئات الواعية طبقيا من الطبقة العاملة في صفوفها ، لا تلعب دورا ضئيلا في حياة ونضال الكادحين ، ورغم ذلك ، فمن الواضح انه لا زال بامكانها ان تلعب دورا كبيرا عندما توحد الجماهير حولها . ومن ثم تصبح قوة سياسية قادرة على قيادة العمال نحو الانعتاق الاجتماعي ، الى بناء مجتمع جديد .

ان السرعة التي نقطعها حزب من مرحلة الى اخرى ، تتوقف على الظروف الموضوعة ،وكذلك على صحة سياساته ، وقدرة قيادته ، ان تفاقم الازمة العامة للراسمالية ، ونجاح القوى الاشتراكية ، وازدياد النضج السياسي ، وتجربة قيادة الحزب ، تخلق في ايامنا المتطلبات الاساسية لكل الاحزاب الشيوعية في البلدان الراسمالية لتنهض الى مستوى اعلى من التطور.

اسس الماركسيه – اللينينية »
الفصل ١٣ – طبعة ٢ – موسكو ١٩٦٤
عن بالانكليزية

اي حزب تحتاجه الطبقة العاملة ؟

لقد ادرك ماركس وانجلز في آن واحد ، عند تقييم الدور التاريخي للطبقة العاملة تقييما صحيحا ، ان البروليتاريا بحاجة الى حزبسياسي مستقل في سبيل تحويل المجمع الراسمالي تحويلا ثوريا .

ولم يجمع اشتراكي تحويلا ثوريا .

ولم يكتبا حول هذا الموضوع فقط ، بل وضعا لم يكتبا الكثير لتنظيم مثل هذا الحزب ، وقد اعلنا في عام ١٨٤٧ ، اسس ماركس وانجلز اول منظمة شيوعية – العصبة الشيوعيه . ويمكن اعتبار العصبة الشيوعيه صوره طبق الاصل للاحزاب الشيوعية المعاصرة ، وعلى اساس تجربتها ، وكذلك على اساس تجربه رابطة العمال العالميه، التي اسست في عام ١٨٦٤ ومعروفه في تاريخ الطبقة العاملة بالاممية الاولى ، استخلص ماركس وانجلز كثيرا من النتائج الهامه حول دور حزب الطبقة العاملة الثوري ، وتنظيمه وسياساته .

وقد طور لينين ، في ظل الظروف الجديده، النتائج التي توصل اليها ماركس وانجلز ، الى تعليم متناسقة حول الحزب ، اذ بين الدور القيادي للحزب ، وصاغ مبادئه التنظيمية في بناء حركة الطبقة العاملة ، والمبادىء الاساسية لسياساته وتكتيكاته . وهذا التعليم هو احد المساهمات الهامة للقافة التي اداها لينين الماركسية .

الصفة الثورية للحزب الماركسي

ان الحزب السياسي ، من بين كل التنظيمات التي انشأتها الطبقة العاملة ، هو وحده الذي يعبر تعبيرا سليما عن الاهداف الاساسية للطبقة العاملة وقوتها في النصر الكامل ، ولا يستطيع العمال اعدا ، بمساعده اتحادات العمال وجمعيات المساعدة المتبادلة والمنظمات المماثلة الاخرى وحدها ، ان يستطيعوا ان يضعوا نهايه للراسمالية ان يبنوا مجتمعا اشتراكيا ، ولهذا يحتاج العمال تنظيما من طراز اعلى ، تنظيما لا يقيد نفسه بالنضال لارضاء حاجيات الشغيلة الانيه ، بل يعمل على ايصال الطبقة العامله الى السلطة السياسية التي تحول المجمع ثوريا ، وهذا التنظيم هو الحزب الشيوعي .

كتب لينين يقول : « .. حتى نتعلم غالبية الطبقة (طبقة معينة) فهم اهدافها ومركزها ، كي تعلم الاحزاب المتقدمة من هذه الطبقةعلى الدور ، وكي تعبر ، حتى ولو كانت هذه العناصر تشكل في البداية جزءا ضئيلا من هذه الطبقة » (١) .

وطالما كانت الطبقة العاملة تخوض نضالا اقتصاديا فقط ، فان البرجوازية لا ترى في ذلك اي خطر بالغ على نفسها ، ولكن عندما تنتظم الطبقة العاملة سياسيا ، كان تؤسس حزبا سياسيا يعبر عن ارادتها كطبقة مثلا ، تبدأ البرجوازية في الخوف الشديد على حكمها . ولهذا السبب توجه البرجوازية ضرباتها الشديدة ضد حزب الطبقة العاملة السياسي ، وفي نفس الوقت ، تنشط الدعاية البرجوازية محاولة تخريب الحزب من الداخل ، عن طريق اقناع العمال بانه بمكنهم العمل بدون حزبهم ، واحد مظاهر التأثير البرجوازي على الطبقة العاملة هو الفوضوية ، والفوضوية – النقابية وانكار الدور القيادي لحزب سياسي .

ان الفوضويين كافة يعارضون ضروره وجود اي تنظيم سياسي ، ويدعو الفوضويون – النقابيون بوجوب عدم اشتغال الطبقة العاملة بالسياسة ، وان اتحادات العمال وحدها كافية، ان الفوضويين ، بانكارهم للسياسة ، يخضعون في الواقع الطبقة العاملة للسياسات البرجوازية. وكتب لينين فاضحا تفاهة هذه النظرية ، وخطر هذه الاراء ، كتب يقول :

« ان حزب الطبقة العاملة السياسي وحده ، الحزب الشيوعي مثلا ، هو القادر على توحيد وتكثيف وتنظيم طليعة البروليتاريا هذه وكل جماهير الشغيلة ، طليعة هي وحدها القادرة على مقاومة تذبذبات البرجوازية الصغيرة ، والتقاليد ، ولنكاسات النقابات الضيقة الافق، او الاجتهادات النقابية في وسط البروليتاريا وقيادة كل النشاطات المشتركة لسائر البروليتاريا، قيادة البروليتاريا سياسيا ومن خلالها قيادة جماهير الشغيلة . » (٢) .

ومع ذلك ، ليس كل حزب سياسي يدعي قيادة الطبقة العاملة قادر على انجاز هذه المهمة. وسفح ذلك من تجربة احزاب الاممية الثانية الديمقراطية – الاشتراكية ، حيث استطاعت البرجوازية الى حد معين عامله من خلال القادة الانتهازيين للديمقراطية – الاشتراكية ، ان تضع هذه الاحزاب تحت نفوذها ، « لروبضها »وجعلها لا تتميز في شيء عن المعارضة البرلمانية البرجوازية ونتيجة لذلك ، فقدت الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية ، التي علقت في البداية املا عظيما على الطبقة العامله ، فقدت قدرتها على تنظيم وقيادة حركة الطبقة العاملة الثورية . وخصوصا كان ذلك واضحا عندما تعقدت كل التناقضات الاجتماعية في عصر الامبريالية واصبحت مناقضه للغاية .

ان الحقيقة الموضوعية . واهداف البروليتاريا جعلت خلق احزاب « من نوع جديد » للطبقة العامله ، مسالة اساسية لا بد منها .

ان اول حزب من هذا النوع نشأ بنجاح كان في روسيا ، عندما كانت التناقضات الامبريالية حاده على وجه الخصوص ، ففي اواخر التسعينات من القرن الماضي رفع لينين رايه النضال ضد الانتهازية في صفوف الديمقراطية الاشتراكية . وضرب هذا النضال مثلا للحركة الثورية في العالم بدا تأسيس احزاب شيوعية في كثير من البلدان.

ولقد تركت الخصوصيات القومية وظروف النضال اثارها على كل حزب شيوعي ، بيد ان لديها شيء مشترك يميزها جذريا عن الاحزاب الديمقراطية – الاشتراكية .

ان الشيء الاساسي الذي يميز الاحزاب من النوع الجديد هو معاداتها للراسمالية ، فالشيوعيون يخوضون نضالا نشطا للقضاء عليها ، من اجل تحول المجمع الراسمالي تحويلا ثوريا ، ولان الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل الطبقة العاملة واقامة دكتاتورية البروليتاريا هما شرطان رئيسيان لهذا التحويل.

وهذا مصدر عدم التسامح الذي يقوم به الشيوعيون ازاء جميع اشكال الانتهازية التي تعني بالملموس تكيفا مع الراسمالية .

ان الاحزاب الشيوعية لا تعمل وهي عمياء او تتلمس في الظلام ، وانما تسترشد بنظرية الماركسية – اللينينية الثورية ، التي تعبر عمليا عن الاهداف الاساسية للطبقة العاملة . ان الحزب هو اتحاد طوعي من اناس متجانسين فكرا ومتحدين من اجل تطبيق النظرة الماركسية الى العالم وتنفيذ المهمة التاريخية للطبقة العاملة .

ان الصفة الثورية للحزب تحدد مبادئه التنظيمية ، ووحدته ،وهوية عمله ، ومرونة تكتيكاته . واكثر من ذلك ، ان القوة الاساسية للاحزاب الشيوعية تكمن في حقيقة انها ليست احزاب افراد منعزلين او فئات ضيقة لثوريين محترفين ، ولكنها احزاب الجماهير الواسعة من الكادحين ، تقيم معها اوثق العلاقات الممكنة. وتقود نضالها .

طليعة الطبقة العاملة وكل الكادحين

ان الحزب الشيوعي هو طليعة الطبقة العاملة هو ، مثلا ، فصيلها المتقدم الواعي طبقيا ، القادر على قيادة الجماهير في النضال للاطاحة بالراسمالية وبناء الاشتراكية . يقول لينين : « ان الماركسية ، اذ تربي حزب العمال ، تربي طليعة البروليتاريا الكفوءة لاخذ السلطة و « للسير بكل الشعب » الى الاشتراكية ولتوجيه وتنظيم النظام الجديد ولتكون معلما وقائداوزعيما لجميع الشغيلة والمستثمرين في امر تنظيم حياتهم الاجتماعية بدون البرجوازية وضد البرجوازية » (٣) .

ان حزب البروليتاريا – الحزب الشيوعي – حزب طبقي وله في نفس الوقت جذور عميقة لا بين الجماهير فحسب ، بل وايضا بين فئات اخرى من الشعب .

ان الشيوعيين ليسوا باي حال اناسا خارقين، انهم عمال ، فلاحون ، مثقفون بسطاء ، وكلمة انهم اناس عاديون . ولكن ما يميزهم هو وعيهم الطبقي العالي وثباتهم الايديولوجي ، وبالتالي طبيعتهم الثورية الاكثر صلابة ، واكثر استعدادا لمواجهة اي محن في سبيل المثل العلياالتي اتحدوا لتحقيقها ، ان حياتهم مرتبطة باهداف الشعب،

(١) لينين – الاعمال المختارة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد ١٩ ص ٣٦٧ – ٣٦٨

(٢) لينين – الاعمال المختارة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد ٣٢ ص ٢٢٢

(٣) لينين – المجلد الثاني العبرية الاول ص ٣٨٩ (الدولة والثورة) – الطبعة العربية

المقاومة عسكريا
بقلم: أبو هام
أول كتاب من نوعه يبحث في العلم العسكري اللازم للمقاومة
دار الطليعة – ٣ ليرات